

أعضاء البيان

@ 158 @ أهلكتنا قوم هود ، وجعلنا سبأً أحاديث ومزقناهم كل مُـمـزّق كل ذلك بسبب تكذيب الرسل ، والكفر بما جاءوا به . وهذا هو معنى قوله : { وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا وَدَّكَُم مِّمَّنِ الْفُقَرَى } كقوم صالح وقوم لوط وقوم هود وسبأ ، فاحذروا من تكذيب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . لئلا ننزل بكم مثل ما أنزلنا بهم . وهذا الوجه لا ينافي قوله بعده { أَفَفَهُمُ الْغَالِبُونَ } والمعنى : أن الغلبة لحزب الله القادر على كل شيء ، الذي أهلك ما حولكم من القرى بسبب تكذيبهم رسلهم ، وأنتم لستم بأقوى منهم ، ولا أكثر أموالاً ولا أولاداً . كما قال تعالى : { أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ } . وقال تعالى : { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَهَآ أَغْنَى عَنْهُمْ مَسَاكَانُهُمْ } ، وقال تعالى : { أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُهُمْ فِي الْأَرْضِ هَآ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَعْمَرُوهُآ } ، إلى غير ذلك من الآيات . .

وإنذار الذين كذبوه صلى الله عليه وسلم بما وقع لمن كذب من قبله من الرسل كثير جداً في القرآن . وبه تعلم اتجاه ما استحسنته ابن كثير رحمه الله من تفسير آية (الأنبياء) هذه بآية (الأحقاف) المذكورة كما بينا . .

وقال الزمخشري في تفسير هذه الآية الكريمة : فإن قلت : أي فائدة في قوله { نَأْتِي }
 { الرُّضَ } ؟ قلت : فيه تصوير ما كان اﻻ يجريه على أيدي المسلمين ، وأن عساكرهم
 وسراياهم كانت تغزو أرض المشركين ، وتأتيها غالبية عليها ناقصة من أطرافها (ا ه منه)
 . واﻻ جل وعلا أعلم . قوله تعالى : { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِّلْبَاقِ
 الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ شَيْئًا } وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ
 خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } . ذكر جل وعلا في هذه الآية
 الكريمة : أنه يضع الموازين القسط ليوم القيامة . فتوزن أعمالهم وزناً في غاية العدالة
 والإنصاف : فلا يظلم اﻻ أحداً شيئاً ، وأن عمله من الخير والشر ، وإن كان في غاية القلة
 والدقة كمثقال حبة من خردل ، فإن اﻻ يأتي به . لأنه لا يخفى عليه شيء وكفى به جل وعلا
 حاسباً . لأحاطة علمه بكل شيء . .

وبين في غير هذا الموضع : أن الموازين عند ذلك الوزن منها ما يخف ، ومنها ما يثقل .
وأن من خفت موازينه هلك ، ومن ثقلت موازينه نجا . كقوله تعالى : { وَالْوَزْنُ